Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9), Issue (1) January (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

التغيرات الصوتية في ضوء علم اللغة الاجتماعي: دراسة تطبيقية على اللهجات العربية

م.د. عبد السلام محمد خلف
كلية التربية/ جامعة الفلوجة

Phonetic Changes in Light of Sociolinguistics: An Applied Study on Arabic Dialects

abdul-salam.m.khalaf@uofllujah.edu.iq

الملخص

تتناول هذه الدراسة التغيرات الصوتية في اللهجات العربية من خلال إطار علم اللغة الاجتماعي، وهو علم يركز على العلاقة التفاعلية بين اللغة كظاهرة حية والسياقات الاجتماعية التي تنشأ وتتطور فيها. تهدف الدراسة إلى استكشاف كيفية تأثير العوامل الاجتماعية، الجغرافية، التاريخية، والثقافية في تشكيل التنوع اللهجي داخل اللغة العربية، مع التركيز على الآليات الصوتية التي تحدث نتيجة هذا التفاعل. يتم تحليل الظواهر الصوتية البارزة مثل الإبدال، القلب المكاني، والنحت كأمثلة تطبيقية تعكس ديناميكية التغير اللغوي في سياقات اجتماعية متنوعة، حيث تُظهر هذه الظواهر كيف تتكيف اللغة مع احتياجات المتحدثين وبيئاتهم.تستعرض الدراسة تعريف علم اللغة الاجتماعي كفرع يدرس اللغة في ارتباطها بالمجتمع، مستندة إلى آراء علماء بارزين مثل وليام لابوف وجوشوا فيشمان، اللذين أكدا على أهمية ربط المتغيرات اللغوية بالعوامل الاجتماعية مثل الطبقة، الجنس، العرق، والموقع الجغرافي. كما تبحث في مفهوم اللغة وعلاقتها بالمجتمع، موضحةً أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل نظام رمزي يعكس الهوية الاجتماعية ويتأثر بالتغيرات في البنية الاجتماعية. من هذا المنطلق، تُعرّف اللهجة كجزء من اللغة يتميز بخصائص صوتية ودلالية خاصة تنشأ في بيئة اجتماعية محددة، مما يجعلها انعكاساً للظروف المحيطة بالجماعات المتحدثة بها.تاريخياً، تتتبع الدراسة نشأة اللهجات العربية منذ العصر الجاهلي، حيث كانت اللغة العربية تنقسم إلى لهجات قبلية متعددة مثل لهجة قريش، هذيل، وتميم، متأثرةً بالعزلة الجغرافية، الاحتكاك التجاري، والتفاعل الثقافي. ومع نزول القرآن الكريم بلغة قريش، بدأت هذه اللهجة تكتسب مكانة مركزية، لتصبح أساس اللغة العربية الفصحى، بينما استمرت اللهجات الأخرى في التطور المحلي. في العصر الحديث، تبرز الدراسة أهمية دراسة اللهجات العربية كمصدر لفهم تاريخ اللغة وتطورها، حيث تحتفظ هذه اللهجات بمفردات وصيغ قديمة تعكس مراحل تطور اللغة العربية، كما تساهم في تتبع حركة الهجرات القبلية وتأثير الاحتكاك اللغوي مع لغات أخرى.من الناحية المنهجية، تعتمد الدراسة على تحليل تطبيقي لأمثلة من اللهجات العربية القديمة والحديثة، مثل ظاهرة الإبدال. كما تناقش الدراسة أسباب نشأة اللهجات، مثل اختلاف البيئات الجغرافية، تنوع الظروف الاجتماعية، والاتصال البشري الناتج عن الهجرة أو الغزو، مما يؤدي إلى صراع لغوي قد ينتج عنه اندماج أو اندثار لهجات معينة في الختام، تؤكد الدراسة على أن التغيرات الصوتية ليست مجرد تحولات عشوائية، بل نتاج تفاعل معقد بين اللغة والمجتمع، مما يجعل دراسة اللهجات العربية من منظور اجتماعي مدخلاً حيوياً لفهم طبيعة اللغة، تطورها، وعلاقتها بالهوية الثقافية. وتبرز أهمية هذا البحث في تعزيز اللغة الفصحى من خلال استيعاب التنوع اللهجي، وربط الحاضر بالماضي اللغوي للأمة العربية.الكلمات المفتاحية: علم اللغة الاجتماعي، التغيرات الصوتية، اللهجات العربية، السياق الاجتماعي، التطور اللغوي.

Abstract

This study examines phonetic changes in Arabic dialects through the lens of sociolinguistics, a discipline that focuses on the interactive relationship between language as a living phenomenon and the social contexts in which it emerges and evolves. The research aims to explore how social, geographical, historical, and cultural factors influence the formation of dialectal diversity within the Arabic language, with a particular emphasis on the phonetic mechanisms resulting from this interaction. Prominent phonetic phenomena such as substitution, metathesis, and blending are analyzed as applied examples that reflect the dynamic nature of linguistic change within diverse social contexts, illustrating how language adapts to the needs and environments of its speakers.

The study reviews the definition of sociolinguistics as a field that investigates language in its societal context, drawing on the insights of prominent scholars such as William Labov and Joshua Fishman, who underscored the importance of linking linguistic variables to social factors including class, gender, ethnicity, and geographical location. It also explores the concept of language and its relationship with society, clarifying that language is not merely a tool of communication but a symbolic system that mirrors social identity and is shaped by transformations in social structures. In this regard, a dialect is defined as a subset of a language distinguished by unique phonetic and semantic features that arise within a specific social environment, thereby reflecting the conditions surrounding the communities that speak it.Historically, the study traces the emergence of Arabic dialects back to the pre-Islamic era, when the Arabic language was divided into various tribal dialects such as those of Quraysh, Hudhayl, and Tamīm, influenced by geographical isolation, commercial interactions, and cultural exchanges. With the revelation of the Quran in the Quraysh dialect, this variant gained a central status, forming the foundation of Standard Arabic, while other dialects continued to develop locally. In the modern era, the study highlights the significance of examining Arabic dialects as a resource for understanding the language's history and evolution, as these dialects preserve ancient vocabulary and forms that reflect stages of Arabic's development, while also aiding in tracing tribal migrations and the impact of linguistic contact with other languages.Methodologically, the study adopts an applied analytical approach, utilizing examples from both ancient and modern Arabic dialects, such as the phenomenon of substitution. It further discusses the causes of dialect formation, including geographical disparities, diverse social conditions, and human contact resulting from migration or conquest, which may lead to linguistic conflicts resulting in either the integration or extinction of certain dialects.In conclusion, the study asserts that phonetic changes are not random transformations but the outcome of a complex interplay between language and society. This makes the sociolinguistic study of Arabic dialects a vital avenue for understanding the nature of language, its evolution, and its connection to cultural identity. The research underscores the importance of this investigation in reinforcing Standard Arabic by embracing dialectal diversity and linking the present to the linguistic past of the Arab nation.Keywords: Sociolinguistics, Phonetic Changes, Arabic Dialects, Social Context, Linguistic Evolution.

المقدمة:

إن دراسة اللهجات هو أمر حديث لم يعتن به لغويو العرب القدماء ونحاتهم، فهم لم يدرسوا لغة الخطاب، بل ركزوا دراستهم في اللغة الأدبية التي تخدم فهم القرآن الكريم. "فقد كان للعرب طريقتان في التعبير: اللغة الأدبية في الخطابة والشعر، التي تتميز بالتأني في النطق وتحقيق الهمز، ولغة التخاطب اليومية، وهي اللهجات القبلية التي اتسمت بالتخفيف والسرعة في النطق، واختلفت في الظواهر الصوتية والصرفية والدلالية بين القبائل"[١]. لكن علماء اللغة القدامى لم يولوا اللهجات اهتمامًا منهجيًا، واكتفوا بتسجيل بعض ألفاظها مبعثرة في المعاجم دون تخصيص معجم لكل لهجة، مركزين على اللغة الفصحى لارتباطها بالقرآن. يرجع ذلك إلى هدفهم الأساسي، وهو خدمة النص القرآني الذي نزل بلغة أدبية راقية، مما جعل دراسة اللهجات تبدو غير ذات جدوى بالنسبة لهم. ومع ذلك، فإن بعض الظواهر اللهجية ظهرت في القراءات القرآنية، لكنها لم تُدرس بشكل موسع. نتيجة لذلك، ضاع الكثير من ثروة اللهجات القديمة، ولم يصلنا إلا القليل الذي جمعته المصادر. ومع هذا، تحتفظ اللهجات العربية الحديثة بجزء كبير من هذه الألفاظ، بعضها محفوظ كما في المعاجم، وبعضها تغير صوتيًا أو صرفيًا. في العصر الحديث، وقد تطورت الدراسات اللغوية لتُعنى باللغة لذاتها، وليس لغرض خارجي، مما أبرز أهمية دراسة اللهجات. فقد تبين وجود علاقة وثيقة بين اللهجات الحديثة واللغة الفصحى في المستويات الصوتية والصرفية والدلالية، حيث استوعبت الفصحى بعض ألفاظ اللهجات وتراكيبها، وأصبحت دراسة هذه العلاقات ضرورية لإحياء الألفاظ الفصيحة المستخدمة يوميًا، وتعزيز الدراسات اللغوية بمادة جديدة عبر تدوين اللهجات، مما يفتح المجال لأبحاث موسعة تضاف إلى دراسات الفصحى، وتساهم في فهم تطور اللغة العربية وتنوعها.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في الإهمال التاريخي لدراسة اللهجات العربية من منظور علم اللغة الاجتماعي، حيث ركز اللغويون القدامى على اللغة الأدبية الفصحى لخدمة القرآن الكريم، دون الالتفات المنهجي إلى اللهجات كظاهرة لغوية مستقلة وقد انعكس ذلك عن التفاعل بين اللغة والمجتمع. وهذا الإهمال أدى إلى ضياع جزء كبير من الثروة اللهجية العربية القديمة، مع بقاء فجوة في فهم العلاقة بين اللهجات الحديثة واللغة الفصحى، خاصة فيما يتعلق بالتغيرات الصوتية التي تشكل مفتاحًا لتتبع تطور اللغة العربية وتنوعها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على اللهجات العربية كمصدر غني لفهم تاريخ اللغة العربية وتطورها، وتبرز دورها كجسر يربط بين اللغة الفصحى والممارسات اللغوية اليومية. كما تساهم في تعزيز الدراسات اللغوية الحديثة بمادة جديدة من خلال تدوين اللهجات؛ مما يفتح المجال لأبحاث موسعة حول التفاعل بين اللغة والسياقات الاجتماعية. وتكتسب الدراسة أهمية إضافية من قدرتها على إحياء ألفاظ فصيحة مستخدمة في اللهجات الحديثة، مما يدعم الهوية اللغوية العربية.

أهداف الدراسة

استكشاف التغيرات الصوتية في اللهجات العربية من منظور علم اللغة الاجتماعي لفهم كيفية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في تشكيل التنوع اللهجي وتطور اللغة العربية.

تساؤلات الدراسة

كيف تؤثر العوامل الاجتماعية والثقافية في التغيرات الصوتية للهجات العربية، وما مدى انعكاس ذلك على تطور اللغة العربية ككل؟

فرضيات الدراسة

التغيرات الصوتية في اللهجات العربية هي نتاج تفاعل معقد بين اللغة والسياقات الاجتماعية، مما يجعلها مرآة تعكس تطور اللغة العربية وتنوعها عبر الزمن.

الدراسات السابقة

١. "الظواهر الصوتية في لهجة بوسعادة – دراسة فونولوجية"، فاطمة الزهراء لمونس، وزينب قوران، ٢٠٢٠، الجزائر .تناولت هذه الدراسة الخصائص الفونولوجية للهجة بوسعادة، من خلال تحليل الأمثال الشعبية واستكشاف الظواهر الصوتية المؤثرة فيها. ركزت الدراسة على مظاهر النبر والتنغيم والمقطع الصوتي، إلى جانب تأثر اللهجة بالفصحى واللهجات القديمة. غير أنها أغفلت البُعد الاجتماعي والاتصالي للهجة في السياق المعاصر، كما لم تربط بشكل كافٍ بين التغيرات الصوتية والتفاعلات الثقافية أو الإعلامية الحديثة

٢. "محاضرات في علم اللهجات"، الدكتور مهري الدين نور، ٢٠٢٠–٢٠٢١، الجزائر. تضمنت هذه المحاضرات شرحاً نظرياً متعمقاً لمفاهيم اللغة واللهجة، ومراحل نشوء اللهجات العربية وتطورها، وأسباب اختلافها. كما تناولت العلاقة بين الفصحى واللهجات الحديثة، وأبرز الظواهر الصوتية والصرفية والدلالية المميزة لها. إلا أن المادة بقيت ضمن الطرح النظري ولم تشمل دراسات تطبيقية ميدانية أو تحليل للهجات محلية محددة، مما يجعلها تفتقر للبعد العملي الميداني في تحليل اللهجة الجزائرية أو غيرها.

٣. "الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي": دراسة في المفهوم وآلية البحث"، عبد القادر علي زروقي، ٢٠١٨، الجزائر .تناولت هذه الدراسة مفهوم الجماعة اللسانية ضمن إطار علم اللغة الاجتماعي، حيث سعت إلى استجلاء التعريفات المختلفة لهذا المصطلح لدى أبرز علماء اللسانيات الاجتماعية مثل لابوف، فيشمان، وفارغسون، مع التركيز على التباين اللغوي داخل الجماعات في ضوء المتغيرات الجغرافية والاجتماعية والثقافية. كما عرضت الدراسة للآليات البحثية المناسبة في هذا المجال، كأداة لفهم العلاقة بين اللغة والسلوك الاجتماعي. غير أن الدراسة ركزت بشكل نظري مكثف على المفاهيم، دون التوسع في نماذج ميدانية تطبيقية توضح التفاعل الحقيقي بين الظواهر الصوتية والواقع الاجتماعي في البيئات اللغوية المختلفة.

منهج البحث في الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كإطار عام، حيث يتم وصف الظواهر الصوتية في اللهجات العربية وتحليلها في ضوء علم اللغة الاجتماعي. كما يتيح هذا المنهج دراسة التفاعل بين اللغة والسياقات الاجتماعية بشكل منهجي، مع التركيز على كيفية تأثير العوامل الاجتماعية، الجغرافية، والتاريخية في تشكيل التغيرات الصوتية وتنوع اللهجات.

المبحث الأول: مفهوم علم اللغة الاجتماعي

يُعد فهم العلاقة بين اللغة والمجتمع مدخلًا أساسيًا لدراسة الظواهر اللغوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، إذ لا يمكن تحليل اللغة بمعزل عن السياق الاجتماعي الذي تُستعمل فيه. لذلك، يتناول هذا المبحث في جزئه الأول التعريف اللغوي والاصطلاحي للّغة، مبرزًا طبيعتها الرمزية والاجتماعية، ودورها كأداة للتواصل وبناء الهوية. أما في جزئه الثاني، فيتطرق إلى مفهوم علم الاجتماع بوصفه الإطار النظري الذي يفسر سلوك

الأفراد داخل الجماعات، ويبيّن كيف يتقاطع هذا العلم مع اللغة في تشكيل ما يُعرف بعلم اللغة الاجتماعي، الذي يدرس اللغة في سياقها التواصلي والطبقي والثقافي.

أولاً: تعريف اللغة لغةً واصطلاحاً

أ- اللغة في الأصل اللغوي: ذكر ابن منظور عن الأزهري قوله: "واللُّغَة من الأسماء النَّاقِصَةِ، وأصلها لغوة مِنْ لَغَا إِذَا تَكَلَّمَ " [٢]، وقال الجوهري: "واللغة أصلها لُغَيٌ أَوْ لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لغى مثل برة وبرى، ولغات أيضا. وقال بعضهم: سمعت لغاتهم بفتح التاء، وشبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء والنسبة إليها لُغَوِيَّ ولا تقل لغوى"[٣] ، وجاء عند ابن فارس في مادة (لَغَوَ) "اللَّامُ وَالْغَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اللَّهَجِ بِالشَّيْءِ... وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: لَغِي بِالْأَمْرِ، إِذَا لَهِجَ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ اللُّغَةِ مِنْهُ، أَي يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا"[٤] ، فمن خلال هذه التعاريف المعجمية للغة نجد أنها تدل على الكلام والنطق.

ب – اللغة في الاصطلاح:تم تعريف اللغة من خلال وجهات نظر متعددة، وأبرزها تلك التي أشار إليها ابن جني في قوله: " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٥] ، فإن ابن جني في تعريفه المختصر هذا يقدم دور اللغة داخل المجتمع، حيث تعكس أفكار كل شعب ومقاصدهم وجوانب حياتهم اليومية، وقد ذهب ابن سنان الخفاجي مذهب ابن جني في تعريفه للغة فهي عنده " ما يتواضع عليه القوم من الكلام"[٦] ، وعرفها ابن الحاجب في قوله : "حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى"[٧] إنَّ الملاحظ على تعريف ابن جني وابن سنان الخفاجي أنهما نسبا اللغة إلى القوم، والقوم عندهما يعني المجتمع، وخاصة أن لفظ المجتمع لم تكن مستعملة في هذا المعنى الذي نعنيه الآن، وإنما كان العرب يستعملون القوم للدلالة على الجماعة كما نفهمه في العصر الحديث، وبالتالي فاللغة لها علاقة بالجماعة وليس بالفرد وحده، فهي لا تكون إلا حيث يكون المجتمع، وعرفت حديثاً على أنها " تنظيم رموز صوتية، يتعاون بواسطتها أفراد مجتمع معيين الفرج[٨]، واللغة في أوسع معانيها ظاهرة إنسانية تميز الإنسان عن بقية الموجودات.

ثانياً: مفهوم علم الاجتماع علم الاجتماع هو ذلك العلم الذي يعنى " باستكشاف الحياة الاجتماعية والتفاعلات بين الجماعات والمجتمعات البشرية، فيظهر هذا المشروع كعمل مدهش ومعقد للغاية، إذ يركز بشكل رئيسي على سلوكياتنا ككائنات تعيش ضمن إطار اجتماعي. وعليه فإن مجال الدراسات الاجتماعية يتميز بتنوع هائل يمتد من فحص التفاعلات اللحظية بين الأشخاص في الأماكن العامة إلى تحليل الديناميكيات الاجتماعية على المستوى العالمي"[٩] ، ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن علم الاجتماع علم واسع ورحب، فهو يُعنى بدراسة حياة الأفراد داخل مجتمعاتهم الضيقة والواسعة ومن جميع النواحي الاجتماعية، إذن فهو علم يدرس السلوك الاجتماعي للأفراد، وهو يهدف " إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر بذلك أسبابه وتأثيراته"[١٠] ، فهذا العلم تربطه علاقة وطيدة بين الفرد والسياقات الاجتماعية من خلال دراسة كل السلوكيات والممارسات التي يتصرفها داخله ففهم الطّرق العميقة الخفيّة والمركبة التي يعيش فيها الفرد إنما يمثل السياقات التي تكتنف تجربتنا الاجتماعية، وهي التي تنطلق منها النظرة السوسيولوجية.إذا كان هذا العلم يمتد ليشمل مجالات عديدة ومتنوعة مثل الدراسات السياسية والاقتصادية والصناعية والأدبية واللغوية، فإن اللغة تبرز كأحد أبعاد اهتماماته الرئيسية. ويتمحور هذا العلم حول تحليل العلاقة التي تربط بين ثلاثة عناصر أساسية: اللغة، والفرد أو الجماعة، والمجتمع. ويُعرف هذا المجال بـ "علم اللغة الاجتماعي"، فما المقصود بهذا العلم وما هو جوهره؟ إن ما يُسمى باللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي أو علم اللغة الاجتماعي أو السوسيوليسانيات، هي تسميات متعددة لعلم واحد يركز على دراسة اللغة في إطار علم الاجتماع. ويهدف هذا العلم إلى ربط الألفاظ اللغوية بسياقاتها التواصلية والاجتماعية والطبقية، وهو يُعد فرعًا من فروع اللسانيات. ويسعى هذا إلى استكشاف التباينات والفروقات داخل لغة واحدة أو بين لغات متعددة، بهدف فهم اللغة كما تظهر في الواقع، أي من خلال علاقتها بالمجتمعات التي تنبثق منها. كما يحاول هذا العلم الإجابة عن أسئلة مثل: من يتحدث؟ وماذا يقول؟ وفي أي مكان وزمان؟ وكيف يعبر عن ذلك؟ وما الدافع وراءه؟وقد برز علماء مثل وليام لابوف وفيشمان وشارل فارغسون، وغيرهم من الباحثين الأمريكيين، كشخصيات رائدة في تطوير هذا الحقل المعرفي. فقد عملوا على رصد السلوكيات اللغوية بين المتحدثين ضمن مجتمعاتهم، مما ساهم في تقديم منظور جديد ومبتكر لدراسة اللغة من زاوية اجتماعية. يعرف فيشمان هذا العلم بقوله:" علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني: استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك[11]".

أما علم اللغة الاجتماعي بمعناه الضيق فإنّه يهتم بالخطوط العامة التي تميز المجموعات الاجتماعية من حيث أنها تختلف وتدخل في تناقضات داخل المجموعة اللسانية العامة نفسها، والوقوف على القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها وما يعتروها من شؤون الحياة، ومبلغ تأثرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس اللغة، "وما تحمله هذه اللغة من طوابع الحياة التي يحياها المتكلمون، وطرائق الاستعمال اللغوي التي يكتسبها الإنسان في المجتمع"[١٢]. في عقد الستينيات من القرن العشرين، وتحديدًا في الولايات المتحدة

الأمريكية، أعلن العالم الاجتماعي–اللغوي لابوف أن اللسانيات الاجتماعية تُعدّ بمثابة علم اللغة ذاته، لكنه لم يتردد في الإشارة إلى أن بعض الباحثين في مجال اللغويات يتجاهلون أهمية تحليل الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بها.حيث يقول: " بالنسبة لنا، هدفنا من الدراسة هو بنية وتطور اللغة في السياق الاجتماعي الذي شكله المجتمع اللغوي "[١٣]. وفقًا لهذا الرأي لا يمكن فهم اللغة دون النظر إلى السياق الاجتماعي للأفراد الذين يستخدمونها حيث يسعى لابوف إلى إيجاد علاقة بين أساليب التحدث والعوامل الاجتماعية، حيث يربط كل اختلاف لغوي بعامل خارجي يتمثل في عناصر مثل (المستوى الاجتماعي، النوع، العمر، المكان، الأصل العرقي، توجهات المتحدثين، سياق التواصل، وغيرها...)، أو يعمل على ربط مجموعة من السمات اللغوية بواحد أو أكثر من هذه العوامل الاجتماعية.لقد كان اهتمام لابوف نابعاً من اعتبار أن اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية تتأثر بها تأثراً كبيراً، ولقد كان محقاً مارسيلزي حين اعتقد " أن اللسانيات الاجتماعية تهدف إلى إعادة إدماج دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي"[14]، فالعلاقة بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي هي دراسة اللغة في علاقتها مع المجتمع.

المبحث الثاني: مفهوم اللهجات وأسباب نشأتها

أولاً: تعريف اللهجة لغةً واصطلاحاًتعد دراسة اللهجات من أحدث وأبرز الاتجاهات في البحوث اللغوية الاجتماعية، فلقد تمت دراسة اللهجات في الجامعات الأوروبية خلال القرنيين التاسع عشر والعشرون حتى أصبحت الآن عنصراً هاماً من الدراسات اللغوية الحديثة.

أ- **اللهجة في الأصل اللغوي:**تندرج تحت مادة (ل.ه.ج)، بالفتح والسكون، وعرفت اللهْجَةُ واللُّهَجَةُ بِأَنَّهَا: " طَرَفُ اللسان... وجَرْسُ الكَلامِ، وَيُقَالُ: فَلَان فَصيحُ اللَّهْجَةِ واللَّهَجةِ، وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاعتَادَها ونشأ عَلَيْهَا... واللهجة اللسان"[١٥] ، وقَولُهُمْ: " هُوَ فَصيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهَجَةِ اللِّسَانُ، بِمَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ. وَسُمِّيَتْ لَهْجَةً لِأَنَّ كُنَّا يَلْهَجُ بِلُغَتِهِ وَكَلَامِهِ، وروى في اللهجة "سُكُون الْهَاء وفتحها وأن الْفَتْحِ أَفْصح"[١٦] ، ولم يعرف الأصمعي الفتح.

ب- اللهجة في الاصطلاح: تعرف اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث على أنها "مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة"[١٧]. إن محيط اللهجة يشكل جزءًا من فضاء أرحب يحتوي على عدة لهجات متنوعة، تتميز كل منها بسماتها الخاصة، إلا أنها تتشارك في مجموعة من الخصائص اللغوية التي تسهل تواصل أبناء هذه المجتمعات وتفاهم ما يتبادلونه من حوارات، حيث يعتمد هذا التفاهم على مدى قوة العلاقة التي تجمع بين تلك اللهجات، واللهجة " استعمال خاص للغة في بيئة معينة، ولا يكاد ينتشر استعمال لغة حتى تتعدد لهجاتها فتظهر لهجة الحضر إلى جانب لهجة الريف"[١٨]، وتختلف لهجة المناطق الشمالية عن نظيرتها في الجنوب، حيث تنبثق اللهجات من عوامل متنوعة تشمل الجغرافيا، والاقتصاد، والسياسة، والعادات الاجتماعية. وتلعب البيئة والعوامل الوراثية دورًا في تباين التركيب الطبيعي لأعضاء النطق وتنوع الأصوات الصادرة. كما تؤثر التنقلات والأنشطة التجارية في تفاعل اللهجات مع غيرها، وهناك لهجات غازية تفرض سلطانها على اللهجات المغزوة. ومظاهر ذلك واضحة معروفة في الماضي والحاضر، والعلم والثقافة ينهضان ببعض اللهجات، وقد يسموان إلى مرتبة الفصحى، وتتكون تلك البيئة الواسعة من مجموعة لهجات متنوعة، وهي ما أطلق عليها اللغويون المعاصرون اسم "اللغة". فاللغة عادةً تضم عدداً من اللهجات، ولكل منها خصائصها الفريدة، إلا أنها جميعاً تتشابه في جملة من السمات اللغوية والتقاليد الكلامية التي تجعل منها لغة قائمة بذاتها، منفصلة عن اللغات الأخرى. ويرى هؤلاء اللغويون أن السمات المميزة لكل لغة ما هي إلا عادات تكلم بها أهلها، ترسخت عبر الأجيال، فأصبحت بمثابة علامة خاصة بهم تميزهم عن متحدثي اللغات الأخرى. وتلك العادات الكلامية هي عادات مكتسبة لا أثر للوراثة فيها. إن كلمة (لهجات) هذه التي يراد بها الآن ما يراد بكلمة (لغات) في كتب الأقدمين، والتي تقابل كلمة (Dialecte) في الفرنسية، وقد أطلق على ما يرادف كلمة (Langue) الآن كلمة (لسان) عندهم، ففي القرآن الكريم قال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾[١٩]، وقال تعالى : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[٢٠] ، أي "اختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها"[٢١]، والعلاقة بين اللهجة واللغة هي "علاقة الخاص بالعام، أو ما بين الفرع والأصل"[٢٢] ، وقد كان القدماء من علماء اللغة العربية يعبرون عما يسميه المحدثون الآن باللهجة بكلمة (اللغة)، و(باللحن) حيناً، ويذهب عبده الراجحي إلى أن العرب القدماء لم يستعملوا مصطلح اللهجة على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث، بل إنهم لم يستعملوه قط في كتبهم... وإنما كانوا يطلقون على اللهجة (لغة) أو (لغية)، أو "باللحن حيناً آخر"[٢٣] . أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو "بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان، مثل ما جاء في الكتاب عن إبدال التاء دالاً عند قبيلة تميم في قولهم ودٌّ بدل وتد"[٢٤] تتميّز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة،

فقد تقسم اللهجة الواحدة إلى شعب، يلحظ الفرق بينها ذوو الملاحظة السمعية الدقيقة ، غير أن اللهجة قد تتميز أيضاً بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها، أو معاني بعض الكلمات.

ثانياً: أسباب نشوء اللهجات

أما عن الكيفية التي نشأت بها هذه اللهجات فهي كثيرة، نذكر منها ما يلي:

أ–الاختلاف في الظواهر الصوتية: تختلف الأصوات (الحروف) التي تتركب منها الكلمة الواحدة، وبالتالي تختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات، كما تختلف في الظواهر الدلالية، فيختلف معنى الكلمة باختلاف الجماعات اللسانية الناطقة بها، أما القواعد والأنظمة سواء ما تعلّق منها بالبنية أو بالتنظيم، فلا ينالها كثير من التنظيم.وهذا ما شهدته اللغة العربية في العصور القديمة، حيث تفرعت إلى مجموعة من اللهجات المتنوعة، التي تختلف فيما بينها من حيث الأصوات والمعاني، وفقاً للقبائل المتباينة، التي تتشابه أو تفترق في ظروفها البيئية والاجتماعية، "ثم أتيحت لهذه اللهجات العربية فرص كثيرة للاحتكاك، بسبب التجارة أو تجاورها بالقبائل الأخرى أو تنقلها في طلب الكلأ والمرعى، أو تجمعها في مواسم الحج ونحو ذلك"[٢٥] ، وما اللغة العربية التي نكتب بها اليوم ونتحدث بها في المناسبات واللقاءات الرسمية، ما هي إلا نتاج للاشتباك والصراع الذي كان قائما بين لهجة قريش وباقي اللهجات العربية التي كانت موجودة بشبه الجزيرة العربية، "فاللغة العربية الفصيحة استمدت أبرز خصائصها من لهجة قريش"[٢٦] ، وبهذه اللغة العربية المشتركة بين باقي اللهجات الأخرى أنزل الله القرآن الكريم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم.ب– اختلاف البيئات الجغرافية: فمتى اختلفت البيئة الجغرافية فإنّ ذلك يؤدي إلى اختلاف في اللغة ، فإذا كان المتحدثون باللغة يقطنون منطقة جغرافية متنوعة التضاريس، كأن تشتمل على سلاسل جبلية أو أخاديد تفصل منطقة عن أخرى، مما يؤدي إلى انفصال جماعة عن غيرها من الناس، "فإنّ ذلك يؤدي تدريجياً إلى تكريس الخصائص اللهجية الشخصية عند الأجيال المتأخرة، فتحدث لهجات لها ميزاتها العامة "[٢٧] ، فإذا انتشرت جماعة لغوية ما على رقعة جغرافية واسعة تختلف طبيعتها، فإنّه مع مرور ستصاب تلك اللغة بنوع من التحول والتغيّر وستتفرّع إلى لهجات متعددة، وبالتالي ستنشأ جماعات لسانية لها خصائصها المشتركة والمتميزة من حيث استعمالها للغة من حيث الصوت أو المفردات أو التراكيب وبالتالي تصبح هذه الجماعة متميزة ومختلفة عن باقي الجماعات اللسانية المجاورة لها.ج– تنوع الظروف الاجتماعية: فكل جماعة تمتلك قواعدها وأوضاعها المميزة في الحياة والتفكير، ولكل أمة طابعها الثقافي وتقاليدها الفريدة التي تميزها عن غيرها، مما يعني أن تنظيم المجتمع وتعدد فئاته وتبدل ظروفه قد يؤدي إلى انقسام لغتها إلى لهجات متنوعة، " فالطبقة الأرستقراطية على سبيل المثال، تتبنى أسلوباً لغوياً يختلف عن ذلك الذي تستخدمه الطبقة المتوسطة أو الدنيا في المجتمع. هذه اللهجة المميزة تتغير وتتطور مع مرور الزمن، لتنتقل إلى الأجيال اللاحقة كجزء من الواقع المعاش، وقد تكون في الأصل قد نشأت بشكل مغاير بهدف إظهار التفرد أو السيطرة على فئات اجتماعية أخرى ضمن إطار خاص بها"[٢٨].

د – الاتصال البشري وآثاره الهجرة / الصراع اللغوي): عندما ينتقل البشر من منطقة جغرافية إلى أخرى سعياً وراء مصالح معينة مثل العمل أو التجارة أو الأمان، أو بهدف الهيمنة والاستعمار، قد يقتحم شعب ما أرضاً يتحدث سكانها لغة أو لهجة مميزة. حينها، تنشأ مواجهة حادة بين اللغة الوافدة واللغة الأصلية، وغالباً ما تكون النتيجة إما زوال إحدى اللغتين زوالاً كاملاً، أو ظهور لغة جديدة تولد من اندماج اللغتين، تجمع بين سمات من هذه وخصائص من تلك، مما يشكل نوعاً من التفاعل والترابط بين اللغات،" وبالتالي احتكاك اللغات بعضها ببعض مما يولّد صراع بينهما، وهذا ما يؤدي إلى اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرقها إلى لهجات"[٢٩]، ولقد روى لنا التاريخ قصة التنافس بين اللغة العربية والآرامية في مناطق العراق والشام، حيث انتهى هذا النزاع بانتصار العربية، تمامًا كما تغلبت على اللغة القبطية في مصر، والبربرية في أراضي المغرب، والفارسية في بعض أجزاء مملكة فارس القديمة، وهكذا يظهر التنافس أيضًا بين اللهجات المختلفة.

المبحث الثالث: اللهجات القديمة واللهجات الحديثة

اللهجات علم من علوم اللغة، وهو علم حديث لم يتناوله القدماء بهذه الطريقة التي يعالج بها اليوم، واللهجة هي جزء من لغة، وهو كما في مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلّقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات"[٣٠] يتناول علم اللهجات بالدراسة مختلف التغيرات التي تطرأ على أية لهجة من اللهجات، كالتغيرات الصوتية والصرفية، من تحقيقٍ وتسهيلٍ في الهمز، وقلب وإبدال، وفك وإدغام ونحتٍ، وغيرها من الظواهر الصوتية المستعملة في لهجة ما، وكذا بعض الظواهر الصرفية كاستعمال اللهجة للضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والحذف في بنية بعض الكلمات، وغير ذلك. كما يتناول علم اللهجات انقسام لغة ما إلى عدّة لهجات مرتبطة بها، والأسباب التي أدت إلى ذلك، والعلاقات بين اللغة الأم وبين ما تفرع عنها من لهجات، وبين كل لهجة وشقيقتها، وخصائص كل هذه اللهجات في المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف، وانزواء أو انتشار، وموت أو حياء، وما يكون

من سيادة إحداها على سائرها، وتحولها إلى لغة، وبيان أسباب تلك السيادة، كما يدرس التأثير والتأثر بين اللهجات، ثم يستنبط القوانين التي سارت عليها اللغة في مراحل تطورها . وأهم ما يتناوله علم اللهجات بالدراسة هو التغيرات التي تطرأ على كلمات اللغة، كالتغيرات الصوتية والصرفية، كالحذف، والقلب، والإبدال، والنحت، وغيرها من الظواهر المستعملة في لهجة ما.

أولاً: اللهجات العربية القديمةتنتمي العربية إلى أسرة اللغات السامية، وقد انبثقت هذه اللغة بجميع لهجاتها من مجموعة من اللهجات التي تسمى بلغات شمال الجزيرة العربية القديمة، أما لغات جنوب الجزيرة العربية أو ما يسمى الآن باليمن وأجزاء من عمان، فتختلف عن اللغة العربية الشمالية، ولا تشترك معها إلا في كونها من اللغات السامية، وقد كان علماء المسلمين المتقدمون يدركون ذلك حتى قال أبو عمرو بن العلاء: "ما لسان حمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا"[٣١] . وقد تطورت اللغة العربية عبر مئات السنين حتى أصبحت قبيل الإسلام تسمى لغة مضر، وكانت تستخدم في شمال الجزيرة، بينما كانت اللغة العربية الجنوبية القديمة لغة (حمْيَر) نسبة إلى أعظم ممالك اليمن حينذاك. وقد تعددت لغات العرب، فكان لكل قبيلة من العرب لغتها الخاصة، فنجد لغة تختص بقريش، وأخرى بهذيل، وثالثة بربيعة، ورابعة بقضاعة... ومع ذلك، كان بإمكان كل جماعة منهم أن تتفهم لغة الآخرين بيسر. وفي تلك الحقبة، جاء نزول القرآن كحدث جليل، خلّد إحدى تلك اللغات العربية، وهي لغة قريش ومنطقة الحجاز. وهكذا، انقسم العرب إلى فئتين رئيسيتين: القحطانيون والعدنانيون، وعلى الرغم من أن الجميع كانوا عرباً ينحدرون من أصل مشترك، ولغتهم في بدايتها واحدة، إلا أن أنماط الحياة المختلفة التي اعتمدوها جعلت كل قبيلة تتبنى طريقة متفردة في التعبير وأسلوباً مميزاً في نطق الكلمات ، " وكل من هذين القسمين الكبيرين قد تكاثر، فتعددت قبائله، وتبع ذلك أنْ صار لكل قبيلة لهجة خاصة، بينها وبين غيرها من أخواتها اللهجات الأخرى بعض الاختلاف في الأصوات ودلالات الألفاظ، كما هو المشاهد في جميع الأقطار في شتى العصور"[٣٢]، فلا يكاد يخلو عصر من وجود خلافات لسانية بين كل مكان وآخر.

ثانياً: اللهجات العربية الحديثةتعتبر اللهجات العربية خزاناً ضخماً ممتلئاً بعدد كبير من المفردات أو الصيغ العربية التي لا تزال متداولة على ألسنة الناس إلى اليوم، ولذلك فإن العناية بدراسة اللهجات هو أمر تقوى به اللغة الفصحى وتنتشر، وتتخلص مع مرور الزمن من الألفاظ ذات الأصل الأعجمي التي تداولتها الألسنة وترسخت في الذهن الجمعي، وهي من مخلفات الاحتلال. "وينطلق الباحثون في اهتمامهم بدراسة اللهجات العربية الحديثة من اعتقادهم أن ذلك يؤدي إلى فهم طبيعة اللغة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها"[٣٣] ، فدراسة اللهجات الحديثة تسهم في تعريفنا ببعض خصائص اللهجات العربية القديمة ومميزاتها، " فهناك بعض الصفات اللهجية التي يمكن أحيانا إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة"[٣٤] إن دراسة اللهجات من الأهمية بمكان، حيث تفيدنا بمعرفة الأصول القبلية لعدد من سكان المناطق المنتشرة اليوم في العالم العربي، فإن وجود لهجات متقاربة في منطقتين مختلفتين أو أكثر، يدلنا على وحدة الأصل القبلي لهذه اللهجات المتقاربة، ولو لم تكن في إقليم واحد. كما تفيدنا في تتبع الحركة الجغرافية للهجرات العربية القديمة، ومعرفة الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي، فكل قبيلة استقرت في منطقة ما، تركت بصمتها اللهجيّة على لسان أهل تلك المنطقة، ولا يزال الأحفاد يتوارثون ذلك عن أجدادهم. ومثال ذلك قرب لهجة اليمن ولهجة عدد من مناطق المغرب العربي، مما يؤكد نسبة سكان هذه المناطق أو بعضهم إلى اليمن. وكذلك ما نراه من ظاهرة (التضجُّع) في لهجة اللبنانيين والتونسيين، أي المبالغة في إمالة الحركات، فهم يقولون (سليم) بدل (سلام)، وأهل تونس يخاطبون المذكر بقولهم: إنتي بإمالة فتحة التاء نحو الكسر، فلما أرادوا أن يفرقوا بين المذكر والمؤنث في المخاطبة، أزالوا إمالة حركة التاء لمخاطبة المؤنث، فقالوا: إنتَ... واللبنانيون والتونسيون يتشابهون في الإمالة مع عدم الاتصال الجغرافي؟ فكيف توافقوا على ذلك، والواقع أن (التضجُّع) هو ظاهرة لهجية قديمة ظهرت على ألسنة القيسيين، فقيل: تضجع قيس، وهذه الظاهرة قليلة عند العرب، وقد حكى الأستاذ شكيب أرسلان عن هجرة قبيلة (قيس) التي كانت تسكن بلاد نجد، ونزولها بلاد الشام، ولهذا فإن لغة نجد دون نزاع هي التي كان لها التأثير الأعظم في لهجات أهل الشام... والواقع أن جميع أهل الشام تقريبا تلفظ بالإمالة، تأثرا باللهجة القيسية القديمة، ولكنها ليست على درجة واحدة، فمنهم المفرط كأهل لبنان، ومنهم المقلّ. ولما كان من ضمن العرب الذين فتحوا الأندلس هم من القيسية التي استوطنت بلاد الشام، فإن الإمالة انتقلت إلى الأندلس عن طريقهم، فهم يقولون مثلا: (كتيب) بدل (كتاب)، بإمالة حركة فتح التاء نحو الياء، حتى تصير قريبة جداً منها، ولذلك فإن بعض الألفاظ الإسبانية التي أصلها عربي لازالت تحتفظ بالإمالة، مثل: (البيب)، أي الباب، وهناك سوق في غرناطة اسمها: (بيب الرملة)، وفي لبنان يقولون للباب: (بيب) كذلك، مما يدل على هذه الصلة بين الشرق والغرب وإذا علمنا أن تونس استقبلت منذ القرن ال ١٦ م عددا كبيرا من الأندلسيين الفارين من الإسبان بعد سقوط بلادهم، وكثير من هؤلاء الأندلسيين أصولهم من الشام التي استوطنها عرب نجد، حيث هاجر إليها كثير من النجديين، ومنهم قبيلة قيس المعروفة بالتضجّع، أدركنا سرّ التقارب اللهجي بين تونس الموجودة في المغرب العربي، ولبنان الموجودة بالشام.

المبحث الرابع: دراسة تطبيقية في التطور الصوتي

تعدّ التغيرات الصوتية من أبرز التغيرات اللغوية التي يلاحظها دارس اللغة أو اللهجات، ففي" كل لغة، ترتبط الأصوات ببعضها ارتباطاً عميقاً، مكونةً بنية متكاملة ومترابطة، حيث تتناغم عناصرها جميعاً معاً، لأن اللغة ليست مجرد أصوات متفرقة، بل هي نسيج صوتي منظم "[٣٥] . وضمن هذا الإطار اللغوي المتكامل، تحدث تحولات صوتية تتباين حسب موقف المتحدثين والسياقات المحيطة بهم، مما يؤدي مع الوقت إلى ظهور أصوات جديدة ضمن الكلمات التي تحلّ تدريجياً محل الأصوات السابقة نتيجة الاستخدام المتكرر. كما يُعد التغير الصوتي إحدى الوسائل التي يتحول من خلالها شكل النطق عبر الأزمنة، وقد ارتبط هذا التحول باللهجات العربية، سواء القديمة أو المعاصرة. أما السمات التي تميز اللهجة فتتركز غالباً في الأصوات وخصائصها وطريقة إصدارها، حيث يكمن الفرق بين لهجة وأخرى في الغالب في بعض التباينات الصوتية. "فحين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينًا، أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي"[٣٦]، بمعنى أنه عندما تُسجل المعاجم لكلمة ذات معنى واحد صورتين مختلفتين أو طريقتين للنطق، ويكون الفرق بينهما محصورًا في حرف واحد فقط من حروفها، يمكننا أن نعتبر إحدى الصور هي الأساس، بينما الثانية مشتقة أو متطورة منها، مع ضرورة ملاحظة الارتباط الصوتي بين الحرف المستبدل والحرف الذي حل محله في كل حالة، والتطور الصوتي داخل الكلمة يحدث نتيجة تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أثناء التأليف الصوتي، فقد يحدث في الكلام "أن تجتمع أصوات الانسجام فيما بينها، بحيث يشعر المتكلّم بثقلها على لسانه، أو يجد عسراً في تحقيقها، فيهرب من ذلك بتبديل بعض الأصوات ببعض، أو بتعديل بعض صفات الأصوات لتوفير الانسجام"[٣٧] . وهذه بعض مظاهر التغيرات الصوتية في اللهجة:

١-**الإبدال** :وهو ظاهرة صوتية عرفتها اللغة العربية، وظهر واضحا في لهجاتها قديما وحديثا؛ يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون مَدَحَه، ومدهه، وفرس رِفِلٌ. ورِفِنٌّ[٣٨] ، وهو كثير مشهور قد أَلَّف فيه العلماء"[٣٩] .

ومن أمثلة الإبدال في اللهجة:

أ- الفعل(قَعْمَزْ): ويدل في اللهجة على الجلوس؛ فحين يقول أحدهم لآخر: (قعْمِز) ، فالمقصود: اجلس. وهذا الفعل لا وجود له في المعاجم، وإنما يوجد فعل (قَعْفَز)، وهو فعل يدل على الجلوس. "قعفز الرجل: جلس جلسة المحتبي، ضامّاً ركبتيه وفخذيْه"[٤٠] ، وهم يقولون: " جلس القَعْفَزَى: وهي جلسة المسْتَوْفِز، وقد اقْعَنْفَز"[٤١] فالفعل (قَعْفَز) يدل على الجلوس، واللهجة تستعمل الفعل (قَعْمَزْ)، مما يدل على أن هناك إبدالاً صوتياً حدث بين الفاء والميم، وهذا يقع كثيراً عند العرب.

ب- كلمة (عَزْلوكْ): تعني عند البعض الشخص القوي، وقد تعني عند آخرين الشخص السّمين، وقد تعني عند غيرهم الشخص الذي كبر وتجاوز مرحلة الصبا... وكل هذه المعاني يجمعها رابط القوة. وهذه الكلمة لم تُذكر في معاجم اللغة؛ وإنما ذكرت كلمة (صعلوك)، وتعني في اللغة "الفقير الذي لا مال له"[٤٢] ، وقد تغيرت دلالة هذا المصطلح، بحيث أصبحت تدل على من يمتهن الغزو والسلب والنهب؛ قال ابن منظور: "يقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذوبان، لأنهم كالذئاب... وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون"[٤٣] . وهكذا فقد صارت كلمة صعلوك تعني كل من يستعمل القوة ليرهب الناس ويسطو على أموالهم.

ويبدو أن كلمة (عزلوك) هي نفسها كلمة (صعلوك)، وقد حدث فيها تغييران صوتيان؛ أما الأول: فهو القلب المكاني، حيث تغير ترتيب بعض الأصوات في الكلمة، فانقلبت من (صعْلوك) إلى (عصْلوك) بالصاد. وأما الثاني: فقد حدث فيها إبدال الصاد (ز)، وهما صوتان يتبادلان كثيراً، فصارت (عزْلوك). وهكذا فقد تغيرت هذه الكلمة من صعلوك إلى عَزْلُوكْ، وظلت تحتفظ بمعنى القوة، سواء استعملها صاحبها في السرقة والسطو، كما يفعل الصعاليك، أم لم يستعملها.

٢-**القلب المكاني** :وهو العملية التي يتمّ فيها إبدال مواقع الأصوات في الكلمة، فيتغيّر تركيبها بتغيير أصواتها، مع احتفاظ الكلمة بمعناها. وقد عرف العرب هذه الظاهرة وسمّوها القلب، ومن سنن العرب القلبُ فأمّا الكلمة فقولهم:" (جَذَبَ، وجبَذَ) و(بكل، ولبَكَ[٤٤])، وهو كثير قد صنّف فيه علماء اللغة"[٤٥] . وفي لهجة سوف وغيرها من اللهجات كثير من الألفاظ التي حدث بها قلب مكاني، فتبادلت بعض الأصوات مكانها داخل الكلمة، ومن ذلك:

أ- كلمة (الصّيشْ): وتطلق في اللهجة على البُسْر الذي لم يُلقّح، وهذا اللفظ موجود في- العربية، لكنه بشكل آخر؛ فالعرب تقول: "الشّيص للبُسر الرديء الذي لا يشتدّ نواه"[٤٦] ، وقد حدث في هذه الكلمة قلب مكاني، فصارت كلمة شِيص صِيشا في اللهجة.

أ- فعل (بَحْلَقْ): ويدل في اللهجة على تدقيق النظر؛ فحين يقال: فلان (ايْبَحْلِق) أي يركّز النظر على شيء ما، وهذا المعنى لم تذكره معاجم اللغة لهذا الفعل، وإنما ذكرته لفعل آخر هو (حمْلَق)؛ قال ابن فارس: "حمْلق، إذا فتح عينه ونظر نظراً شديداً"[٤٧] ، وهو المعنى ذاته لكلمة (بَحْلَق) في اللهجة. ويبدو أن اللهجة استثقلت فعل (حمْلَق)، لأنه يُفتتح بصوت حلقي بعيد، هو الحاء، ويُختتم بصوت قوي، تحاشته اللهجات بتغييرات كثيرة، هو القاف الذي تجتمع فيه عدد من صفات القوة، كالجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة. وقد فضّلت اللهجة فعل (بحْلق) لأنه أخف منه، وقد تم الانتقال من حمْلَق إلى بَحْلَق عبر تغييرين، هما إبدال وقلب؛ وذلك بإبدال الميم باءً، فصارت حَبْلق، ثمّ حدث القلْب، فتحولت الباء إلى أول الكلمة، فصارت (بحْلق).

٣-**التطور الصوتي بين كلمتين:**وقد ظهر هذا فيما عرف بالنّحت، والعرب تنحت من كلمتين كلمةً واحدة، كقولهم: رجل عَبْشَميّ، وهي كلمة منحوتة من كلمتين هما: عبد شمس

ومن أمثلة النحت في اللهجة:فعل (سَعْسَق): وهو يدل في اللهجة على كثرة السّير والانتقال من مكان إلى مكان. وهذه الكلمة لا وجود لها في معاجم اللغة، ولعلها منحوتة من كلمتي (سعى سعى)، أي أكثر السعي والحركة؛ وفعل سعى في العربية "يدل على المشي أو المشي بسرعة"[٤٨] ، فحين يقال: فلان يسعى، أي: يمشي، فإذا قيل: (سعى سعى)، فالمعنى يتحرك ويمشي كثيرا، وفيها دلالة على المشي السريع. "ويبدو أن الكلمة المنحوتة أولاً هي (سَعْسَى)، ثم عوّضوا الألف الأخيرة بالقاف، لتكون الكلمة أشد تمكنا في النطق وأقوى ارتكازا، فقالوا: (سَعْسَق)"[٤٩] .وهكذا فإن اللغة ولهجاتها تنمو وتتطور عبر مراحل حياتها، وذلك يعود إلى أسباب تاريخية، ونفسية، واجتماعية...وغيرها.

الخاتمة والتوصيات:

خلصت هذه الدراسة إلى أن التغيرات الصوتية في اللهجات العربية تُعد ظاهرة لغوية عميقة الجذور وليست مجرد تحولات عرضية أو انحرافات عن اللغة الفصحى، بل إنها تمثل نتيجة حتمية لتفاعل معقّد بين اللغة والبيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها. وقد بين التحليل النظري والتطبيقي أن عوامل متعددة مثل الطبقة الاجتماعية، الجغرافيا، التاريخ، التقاليد الثقافية، والاحتكاك اللغوي، تساهم جميعها في تشكيل أنماط صوتية مميزة داخل كل لهجة. كما أظهرت الظواهر المدروسة – كالإبدال، والقلب المكاني، والنحت – مدى مرونة اللغة وقدرتها على التكيف مع السياقات التواصلية للمتكلمين، مما يؤكد على أن اللهجات ليست كيانات لغوية هامشية بل كيانات حيّة تعبّر عن الواقع الاجتماعي بشكل ديناميكي.ومن خلال الاستناد إلى أطر علم اللغة الاجتماعي، خاصة أفكار لابوف وفيشمان، برزت أهمية دراسة اللغة من منظور اجتماعي لفهم كيف تنعكس الهويات الثقافية والتغيرات المجتمعية في البنية الصوتية للكلام. وقد ظهر جليًا أن اللهجات العربية المعاصرة ما زالت تحتفظ بجذور فصيحة، سواء من حيث الألفاظ أو التراكيب أو الأنظمة الصوتية، وهو ما يفتح آفاقًا رحبة أمام الباحثين في تتبع تطور اللغة العربية وتحليل مراحل تحولها. كما أوضحت الدراسة أن كثيرًا من الظواهر الصوتية في اللهجات يمكن أن تُفهم في ضوء قوانين التطور الصوتي التي عرفتها العربية القديمة، مما يجعل دراسة اللهجات أداة فعالة في استعادة تراث لغوي مهدد بالاندثار.وانطلاقًا من النتائج المتوصّل إليها، توصي الدراسة بمجموعة من التوصيات العملية والعلمية، منها: ضرورة توثيق اللهجات العربية توثيقًا علميًا دقيقًا باستخدام مناهج ميدانية حديثة تشمل التسجيل الصوتي والتحليل الفونولوجي؛ إدماج دراسة اللهجات في مناهج الجامعات والأقسام اللغوية بوصفها جزءًا من التراث اللساني العربي لا يقل أهمية عن الفصحى؛ تشجيع الدراسات المقارنة بين اللهجات القديمة والمعاصرة لاستنباط قواعد التحول الصوتي التي خضعت لها اللغة؛ وأخيرًا، تعزيز الوعي بأهمية اللهجات في بناء الهوية الثقافية وتعميق الانتماء اللغوي، باعتبار أن فهم تنوعها هو خطوة لفهم وحدتنا اللغوية التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، أنجيب غلام نبي بن غلام محمد، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، السعودية، ١٩٨٩.

٢. الأمالي، ابن الشجري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١، ط١.

٣. الأنطاكي، محمد، الوجيز في اللغة، مكتبة دار الشرق، ط٣.

٤. الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٤.

٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ط٤.

٦. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الفكر.
٧. العربية، يوهان فك، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠.
٨. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ط٣.
٩. اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٨، ط١.
١٠. اللغة، جوزيف فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠.
١١. اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ١٩٩٩.
١٢. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢.
١٣. اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣، ط٢.
١٤. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ط١.
١٥. المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ماكس فيبر، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ط١.
١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩.
١٧. محاضرات في علم اللهجات ، الدكتور مهري الدين نور، كلية الآداب واللغات ، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، ٢٠٢٠، الجزائر
١٨. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ط٣.
١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.
٢٠. تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، ١٩٩١، ط١.
٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠، ط١.
٢٢. سوسيولوجيا اللغة، فيشمان، نيو بيري هاوس، راوولي، ١٩٧٢.
٢٣. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ط١.
٢٤. علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ترجمة وتقديم الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ط١.
٢٥. علم اللغة الاجتماعي، وليم لابوف، منشورات مينوي، باريس، ١٩٧٦.
٢٦. في اللهجات العربية، محمد أحد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ١٩٨٩.
٢٧. في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، ١٩٩١، ط١.
٢٨. كائن اللغة، علي عبد الله الفرج، دار أطياف، السعودية، ٢٠١٥، ط١.
٢٩. لهجات العرب، أحمد تيمور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣.
٣٠. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.
٣١. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ط٣.
٣٢. من أزمة اللسانيات إلى لسانيات الأزمة: علم اللغة الاجتماعي في الفكر، ج. ب. مارسيلزي، مجلة الفكر، العدد ٢٠٩، ١٩٨٠

هوامش البحث

[١] محاضرات في علم اللهجات ، الدكتور مهري الدين نور، كلية الآداب واللغات ، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، ٢٠٢٠، الجزائر ، ص٢

[٢] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، ٢٠٠٤، ط٣، ص٢٥٠.

[٣] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ، ١٩٨٧، ط٤، ص٢٤٨٤.

[٤] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩، ص٢٥٥.

[٥] الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دت، ط٤، ص٣٤.

[٦] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ط١، ص٤٨.

[٧] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ط١، ص١٢.

[٨] كائن اللغة، علي عبد الله الفرج، دار أطياف، السعودية، ٢٠١٥، ط١، ص٢١.

[٩] علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ترجمة وتقديم الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ط١، ص٤٧

[١٠] مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ماكس فيبر، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ط١، ص٢٨.

[11] سوسيولوجيا اللغة، فيشمان، نيو بيري هاوس، راوولي، ١٩٧٢، ص١.

[١٢] اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٨، ط١، ص٢٤.

[١٣] علم اللغة الاجتماعي، وليم لابوف، منشورات مينوي، باريس، ١٩٧٦، ص٢٥٨.

[14] من أزمة اللسانيات إلى لسانيات الأزمة: علم اللغة الاجتماعي في الفكر، مارسيلزي، مجلة الفكر، العدد ٢٠٩، ١٩٨٠، ص١٠٦.

[١٥] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين، ص١٩٣.

[١٦] الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة،

[١٧] اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص١١.

[١٨] لهجات العرب، أحمد تيمور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣، ص٦.

[١٩] سورة النحل، آية ١٠٣

[٢٠] سورة الروم، آية ٢٢

[٢١] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠، ط١، ص٢٠.

[٢٢] اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢، ص٥٠.

[٢٣] أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١، ط١، ص١٣٠.

[٢٤] الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ط٣، ص٤٨٢

[٢٥] الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، أنجيب غلام نبي بن غلام محمد، رسالة دكتوراه، ١٩٨٩، ص٢٩.

[٢٦] اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مصدر سابق، ص٣١

[٢٧] كائن اللغة، علي عبد الله الفرج، مصدر سابق، ص٧٨

[٢٨] الفرج علي عبد الله، (٢٠١٥)، كائن اللغة، مصدر سابق، ص٨٨

[٢٩] اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣، ط٢، ص٤١.

[٣٠] في اللهجات العربية، محمد أحد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ١٩٨٩، ص٥.

[٣١] طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ج٢، ص٥.

[٣٢] في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، دار التراث الأول، – ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م، ص ٩٥.

[٣٣] لهجة تميم أثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، – ١٩٧٨ م، ص ٣٢

[٣٤] العربية، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، – ١٩٨٠ م، ص ٩.

[٣٥] اللغة، جوزيف فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠، ص٦٢.

[٣٦] من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ط٣، ص٥٩.

[٣٧] الوجيز في اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، ط٣، ص٢٧٠.

[٣٨] الرفنّ: الطويل الذنب من الخيل.

[٣٩] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الفكر، ص١٥٤.

[٤٠] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مصدر سابق ،١٥ / ٢٨٤

[٤١] لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ٥ / ٣٩٥

[٤٢] المصدر السابق نفسه، ١٠ / ٤٥٥

[٤٣] المصدر السابق نفسه، ٣٧٧/١

[٤٤] معناهما: اختلط.

[٤٥] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الفكر، ص.١٥٣

[٤٦] محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ١٨ / ٢٢

[٤٧] معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مصدر سابق ، ١٤٧/٢

[٤٨] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مصدر سابق، ٣٨ / ٢٧٩

[٤٩] معجم الفصيح في لهجو وادي سوف، : العمامره سعد بن البشير، ١٩٨٨م – ١ / ١١٣